

آيات توكل النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم (دراسة دعوية)

Verses of the Prophet Muhammed 's trust in the Holy Qur'an
(prayer study)

م.م. أسامة عبد المنعم شاكر

Osama Abdulmuni'm Shakir

مدرس في ثانوية أم المساجد الإقراية في الفلوجة

Teacher at Um m. Al-Aqariya mosque high school in Fallujah

ملخص البحث

المقدمة

هذا بحث يتناول خلق رفيع، وجوهر نفيس، قد ذكر في خير كتاب، ومتعلق بأفضل خلق الله أجمعين ألا وهو توكل النبي ﷺ في القرآن الكريم، تناولت فيه تعريف التوكل وفضيلته، ومراتبه، وعلامة من اتصف به، ثم شرحت آيات التوكل المتعلقة بحضرة المصطفى ﷺ شرحاً إجمالياً، ثم ذكرت أهم ما جاء في الآيات من فوائد دعوية، تخص الدعوة والداعية، لعلها تنير الدرب لكل من سلك هذا النهج.

Research Summary:

This is a research that deals with a noble character, and a precious essence, mentioned in the best book, and related to the best of all God's creation, which is the trust of the Prophet in the Noble Qur'an. A general explanation, and then I mentioned the most important benefits of the da'wah that came in the verses, which are specific to the da'wah and the da'wah, perhaps illuminating the path for everyone who took this approach.

الحمد لله القائل: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين وإمام المتوكلين سيدنا محمد ﷺ الذي سماه ربه بالتوكل، وعلى آله وأصحابه: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين
أما بعد؛ فإنه لما عَنَّ لي كتابة بحث في مجال الدعوة إلى الله، وجدت أن كتاب الله يدعوني إلى رحابه، وإلى تأمل بعض آياته، وما دمنا نعيش اليوم حياة غرق الناس فيها بالماديات، ونسوا فيها التوكل على الله؛ أحببت أن أختار نماذج راقية في مجال التوكل على الله وهو توكل الانبياء في القرآن الكريم -دراسة دعوية- ولما استقرأت آياتها فوجدتها كثيرة، وقع نظري على النموذج الأمثل والأسوة والقدوة الحسنة لهذه الأمة إلا وهو نبينا محمد ﷺ فاخترت عنوان: (توكل النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم -دراسة دعوية-).

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسم بعد هذه المقدمة إلى مبحثين وخاتمة
المبحث الأول: حقيقة التوكل وفضيلته وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوكل في اللغة والاصطلاح، ويشتمل على فرعين:

* * *

الفرع الاول: تعريف التوكل في اللغة.

الفرع الثاني: تعريف التوكل في الاصطلاح.

المطلب الثاني: فضل التوكل، ويشتمل على

فرعين:

الفرع الاول: فضل التوكل في القرآن الكريم

الفرع الثاني: فضل التوكل في السنة النبوية

المشرفة.

المطلب الثالث: مراتب التوكل ودرجاته.

المطلب الرابع: أمارات التوكل وصفة المتوكل.

المبحث الثاني: توكل النبي ﷺ في ضوء

الآيات القرآنية. ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الاول: العبادة والتوكل على الله تعالى .

المطلب الثاني: الجمع بين التقوى والاتباع مع

التوكل على رب العباد..

المطلب الثالث: التوكل على الله عند إعراض

المدعويين.

المطلب الرابع: القيادة الحكيمة للنبي صلى الله

عليه وسلم والتوكل.

وأما المنهج الذي سأتبعه في دراسة الآيات فهو

أن أعطي المعنى الإجمالي للآية أو الآيات ثم أبين ما

فيها من فوائد دعوية تخص الدعوة والداعية.

هذا جهدي وما استطعت، فإن وفقت فالفضل لله

وحده، وإن أخطأت فمن نفسي واستغفر الله وأتوب

إليه والحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول

حقيقة التوكل وفضيلته

وفيه أربعة مطالب:

• المطلب الاول: تعريف التوكل في اللغة

والاصطلاح، ويشتمل على فرعين:

الفرع الاول: تعريف التوكل في اللغة:

التوكل لغة: إظهارُ العجزِ والاعتماد على غيرك

والاسم التُّكْلان يقال: وَكَلَّ بالله وتَوَكَّلَ عليه وَاتَّكَلَ

استَسْلَمَ إليه وَوَكَّلْتُ أَمْرِي إلى فلان أي أَلَجَّأْتُه إليه

واعتمدت فيه عليه^(١).

الفرع الثاني: تعريف التوكل في الاصطلاح.

تباينت أقوال العلماء واختلفت وجهاتهم في

بيان حقيقة التوكل على الله فمنهم من عرفه بأنه: ١.

عَمَلُ الْقَلْبِ وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ لَا عِلَاقَةَ لِلْسَّانِ

والجوارح فيه ، وليس هو من العلوم والادراكات.

ومن العلماء: مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ

٢. فَيَقُولُ: هُوَ عِلْمُ الْقَلْبِ بِكَفَايَةِ الرَّبِّ لِلْعَبْدِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُ: بِالسُّكُونِ وَخُمُودِ حَرَكَةِ الْقَلْبِ:

٣. فَيَقُولُ: التَّوَكُّلُ هُوَ انْطِرَاحُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ

الرَّبِّ، كَانْطِرَاحِ الْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ بِقَلْبِهِ كَيْفَ

يَسَاءُ.

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور: مادة (وكل)، (٦/٤٩١٠).

وذلك لأن المحبوب لا يُعَذَّب ولا يُبْعَد ولا يُحْجَب^(٣).

الفرع الثاني: فضل التوكل في السنة النبوية المشرفة.

عن عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ قَالُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتُمُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)^(٤).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ^(٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ، حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران: ١٧٣.

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا)^(٦).

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (٢٤٣/٤) وطريق المساكين إلى مرضاة رب العالمين للدكتور عمر عبد الله كامل: (ص ٢٦)

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (١٩٨/١) رقم الحديث: (٢١٨)

(٥) كتاب المغازي، باب {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ}، (١٦٦٢/٤) رقم الحديث: (٤٢٨٧).

(٦) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب الرقاق، (٣٥٤/٤) رقم الحديث: (٧٨٩٤)، والترمذي في سننه، باب في التوكل على الله، (٥٧٣/٤) رقم الحديث: (٢٣٤٤). وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُ بِالرِّضَا: ٤. فَيَقُولُ: هُوَ الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُ بِالثِّقَةِ بِاللَّهِ، وَالْطَّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ. وَالشُّكُونِ إِلَيْهِ.

٥. فيقول: التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب، مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة الشكون إلى الحق مع وفوفك عليها^(١)، إلى غير ذلك من الأقوال الأخرى التي لم أذكرها خوف التطويل والتكرار، وسبب هذا الاختلاف في بيان حقيقة التوكل كما يقول ابن القيم -رحمه الله- هو «أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها. وكل أشار إلى واحد من هذه الأمور، أو اثنين أو أكثر^(٢)».

• **المطلب الثاني: فضل التوكل، ويشتمل على فرعين:**

الفرع الأول: فضل التوكل في القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: ١٥٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿الطلاق: ٣﴾

وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه، ومضمون كفاية الله من اتصف به، فمن كان الله حسبه وكفايه ومحبه ومراعيه، فقد نال المني وفاز الفوز العظيم،

(١) ينظر: الرسالة القشيرية: (ص ٣٠)، ومدارج السالكين لابن القيم: (١١٥/٢).

(٢) مدراج السالكين: (١١٨/٢)

ويخشى عادة من الخلق كالأمراء وغيرهم.
٢. أن لا يدخل قلبه هم الرزق وذلك ثقة بضمان الله له بحيث يكون قلبه ساكن راضي عند فقدان ما يحتاجه كسكونه حال وجوده.
٣. عدم اضطراب قلبه في مظان الخوف، علما منه أن ما أخطاه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه^(٣).

وليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب كما قد يفهم، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكّلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير، لكن اعتمدوا على قوتهم وكسبهم وذلك خلاف التوكل^(٤).

• المطلب الثالث: مراتب التوكل ودرجاته

التوكل له ثلاث درجات : التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعد الله له بالرزق والكفاية وصاحب التسليم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه، فالتوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية، فالتوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين، وإن شئت قلت: التوكل صفة العوام، والتسليم صفة الخواص، والتفويض صفة خاصة الخاصة، أو التوكل صفة الأنبياء والتسليم صفة إبراهيم الخليل والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليهم أجمعين^(٥).

• المطلب الرابع: أمارات التوكل وصفة المتوكل

للمتوكل الصادق في توكله علامات تميزه عن غيره منها:

١. أن لا يرجوا غير الله ولا يخاف إلا من الله، ولذلك علامة وهي أن لا يدع قول الحق عند من يرجى

(١) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ: (٣١٣/٤)، تحفة الأحوذى: (٨/٧).

(٢) ينظر: مدارج السالكين: (١١٧/٢)، وإحياء علوم الدين للعزالي: (٢٦٥/٤).

(٣) ينظر: رسالة المعاونة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة للشيخ عبدالله علوي الحداد: (ص ١٧٩).

أولاً: من صفات الداعية الناجح: الجمع بين العبادة

والدعوة.

هذه الآية توجه إلى عبادة الله فعبادة الله هي الغاية من خلق الانسان كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) الذاريات: ٥٦.

فليس هناك من هدف في المنهج الإسلامي لنظام الحكم، ونظام الاقتصاد، والتشريعات الجنائية، والتشريعات المدنية، وتشريعات الأسرة، وسائر التشريعات التي يتضمنها هذا المنهج، ليس هناك من هدف إلا تحقيق معنى العبادة في حياة الإنسان، والنشاط الإنساني لا يكون متصفا بهذا الوصف، محققا لهذه الغاية - التي يحدد القرآن أنها هي غاية الوجود الإنساني - إلا حين يتم هذه النشاط وفق المنهج الرباني فيتم بذلك أفراد الله - سبحانه - بالألوهية والاعتراف له وحده بالعبودية^(٢).

لكن ليس معنى ذلك أن يشتغل الداعية بالعبادة ويترك مهمته الدعوية فالعبادة في حياة العابد كل من كل، أما في حياة الداعي فهي جزء من كل.

والعبادة تعلق بالله (صلاة .. صوم .. ذكر .. قراءة قرآن .. ذكر) .. أما الدعوة فهي تعلق وتخلق، ومعني التخلق: علاقة مخلوق بمخلوق الداعي الناجح هو من كان بالليل متعلق بالله .. وبالنهيار متخلق (بالتأليف .. والتعريف .. والدعوة .. والتكليف)^(٣).

المبحث الثاني

توكل النبي ﷺ في ضوء الآيات القرآنية.

ويشتمل على خمسة مطالب:

• المطلب الاول: العبادة والتوكل على الله تعالى.

وفيه أربع آيات:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣) هود: ١٢٣

معنى الآية: أن الله تعالى مطلع على جميع ما غاب عن عباده في السموات والأرض والأمر يوم القيامة لله فليس لمخلوق أمر إلا بإذنه، ثم أمر الله نبيه بالتوكل والثقة عليه ثم بين تعالى أنه لا يغفل عنه شيء وأنه يجازي كلا بعمله^(١).

• الفوائد الدعوية:

ومن التأمل في هذه الآية المباركة نستخرج ونذكر هذه الفوائد الدعوية:

١. من صفات الداعية الناجح: الجمع بين العبادة والدعوة.

٢. من صفات الداعية: التوكل على رب العباد

٣. من أساليب الدعوة: التهيب.

(٢) ينظر: وقفات على الطريق لعلي بن نايف: (ص ٢٣٠).

(٣) ينظر: النعمانية في الدعوة الربانية لعلي محمد: (ص: ٥٢)

(١) ينظر: تفسير البغوي: (٤٠٧/٢)، وزاد المسير: (١٧٥/٤)، وروح المعاني: (١٦٧/١٢-١٦٨)

ثانيا: من صفات الداعية : التوكل على رب العباد.
تحت هذه الآية على التوكل على الله فالتوكل هو:
التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ الرَّبِّ وَقَضَائِهِ وَتَفْوِيضُ الْأُمُورِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ^(١).

والداعية في دعوته محتاج إلى هذا التسليم والتفويض، خصوصا مع المعوقات التي تواجهه في مسيرته الدعوية، فالتوكل هو الذي يطمأن قلبه ويعينه على المضي في مسيرته^(٢).

ثالثا: من أساليب الدعوة: التهيب.

في هذه الآية الكريمة ومن خلال قوله تعالى: (وما ربك بغافل عما تعملون) ندرك أسلوب من أساليب الدعوة الاسلامية إلا وهو أسلوب التهيب وقد عرفوه بأنه: هو كل ما يزعج وينفر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو رفضه أو عدم الثبات عليه بعد قبوله^(٣).

إن التهيب هو العنصر الفعال في سبيل الدعوة فهو يمثل القوة الصادمة عن الانحراف إلى سبل الشر، وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما، من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله دائما قلقا ، حتى ولو غامر في الأمر، واستهان بالمخاوف، إلا أن محاذير سلوك سبل الشر عواقب وخيمة لا تستهين بها العقلاء بحال من

الأحوال، متى تبصروا بها حقًا، وبالتكرار والمعالجة المتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا. وتكتسب خلق الزهد والعفة عن المحارم، مهما كانت إغراءاتها آسرة للنفس، مثيرة لرغباتها وأهوائها ، ولما كانت سبل الشر في الحياة محفوفة بمغريات الأنفس، وفواتن الأهواء والأفكار، كانت أصول التربية الواقعية تستدعي إيجاد قوة صادرة عنها، زائدة على قوة الإقناع الفكري المجرد، ومضافة إلى وسيلة الترغيب، وهذه القوة الصادرة إنما هي وسيلة التهيب^(٤).

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٨.

معنى الآية: اتخذ يا حبيبي يا محمد من لا يموت وكيلا وثق به، وأسند أمرك إليه في استكفاء شروهم، ولا تتكل على حي يموت (وسبح بحمده) أي قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه، وكفى الله خبيراً بذنوب عباده يعني أنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم^(٥).

• الفوائد الدعوية:

١. من صفات الداعية: الحياء.
٢. من أساليب الدعوة : التشجيع على العمل.

(٤) ينظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني: (ص ٢٥٠).
(٥) ينظر: تفسير النسفي: (١٧٤/٣) وتفسير البيضاوي: (٢٢٥/٤).

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم: (١٧٧/٢).

(٢) ينظر: العصبَةُ المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان لعلي بن نايف: (ص ١٧٢).

(٣) ينظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان: (ص ٤١٧).

أولاً: من صفات الداعية: الحياء.

الحياء من افضل الخصال، وأكمل الأحوال، ومن ثم قال عنه سيد الناس محمد ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بخير^(١))، (الحياء خير كله^(٢))، (الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان^(٣)) .

وكان ﷺ: (أشد حياء من العذراء في خدرها^(٤)) . والحياء اسم يشتمل على مجانية المكروه من الخصال، وهو قسمان: أحدهما: استحياء العبد من الله جل وعلا عند مباشرته ما هم بفعله.

والثاني: استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معا.

والقسمان جميعا محمودان إلا أن الحياء عند مجانية ما نهى الله عنه فرض ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل^(٥).

فالحياء من الصفات التي ينبغي للداعية التخلق بها وليس منه، الضعف والخجل الذي يوجب مداهنة أصحاب المعاصي، أو مجاملة الناس على حساب الحق، فليس هذا من الحياء

بل هو جبن وضعف وخجل مذموم^(٦)، ولنا برسول الله ﷺ أسوة فحين سرقت امرأة مخزومية، وجاء أسامة بن زيد يكلمه في أمرها، قال له رسول الله ﷺ - ولم يمنعه الحياء من قول الحق -: (أتشفع في حد من حدود الله) ثم خطب فقال: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^(٧)) .

ثانياً: من أساليب الدعوة: التشجيع على العمل.

في هذه الآية وغيرها من الآيات الموجهة لحضرة المصطفى ﷺ أسلوب تحفيز وتشجيع على العمل بمقتضى ما جاء فيها؛ لأنه إذا علم المسلم أن نبيه مأمور به مثله كان ذلك أدعى لامثال الأمر وقبوله^(٨)، ولقد اعتمد النبي ﷺ على هذا الأسلوب في دعوته في تربية أصحابه فعليا فلقد كان السباق في كل عمل فحين بني المسجد النبوي شارك النبي ﷺ أصحابه في العمل «فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُرْعَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَدَأَّبُوا فِيهِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، (٢٢٧٦/٥)، برقم: (٥٧٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، (٤٧/١)، برقم: (١٦٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، (١٢/١)، برقم: (٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (١٣٠٦/٣)، برقم: (٣٣٦٩).

(٥) ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (ص ٥٧).

(٦) ينظر: جامع العلوم والحكم: (٢٤٢)، والفتح المبين بشرح الأربعين للهيتمي: (٣٨٣).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ} (الكهف)، (٩).

(٨) برقم: (٣٢٨٨).

(٩) ينظر: شرح الأربعين لابن عثيمين: (ص ٢١٢).

معنى الآية: هذه الآية حكاية لقول النبي ﷺ للمؤمنين، أو خطاب من الله ﷻ لرسوله وأمته، أي أن ما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فحكمه إلى الله فاتبعوا فيه ما جاءكم من الله ولا تميلوا إلى ما يعتقدونه، (ذلكم الله) الذي يحكم بين المختلفين هو (ربي عليه توكلت وإليه أنيب) (٤).

٤. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ المزمّل: ٨ - ٩.

معنى الآية: أي دم على ذكره في الليل والنهار (وتبتل إليه) أي انقطع إلى عبادته عن كل شيء والتبتل الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره فهو رب المشرق والمغرب {فاتخذه وكيلًا} أي إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وان لا إله إلا هو فاتخذه كافيا لأمورك (٥).

• الفوائد الدعوية في هذه الآيات :

١. من صفات الداعية: الاكثار من ذكر الله.
٢. من زاد الداعية في دعوته: الخلوة والانقطاع عن الناس بين الفينة والأخرى.
- أولاً: من صفات الداعية: الاكثار من ذكر الله.

قوله تعالى: {واذكر اسم ربك} فيه ندب إلى ذكر الله تعالى فذكر الله هو الطريق لإزالة الكدر وتسليّة للمؤمن عن كل ما يلاقه من الهم والدعاة هم بحاجة أكثر من غيرهم للتزود منه وقد ندبنا الله تعالى إلى

- (٤) ينظر: تفسير البغوي: (١٢١/٤)، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن العظيم للشيخ عبد الكريم المدرس: (٥٠/٧)،
- (٥) ينظر: تفسير النسفي: (٢٩١/٤)، وروح المعاني: (١٠٦/٢٩)،

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيَّ يَعْمَلْ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضِلُّ^(١) والتشجيع كما يكون بالفعل يكون أيضا بالقول والثناء الحسن للمدعو، يروي لنا الإمام مسلم^(٢) أن النبي ﷺ يسأل أبا المنذر^(٣) قائلا له: (أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟) قال أبو المنذر: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، فضرب النبي ﷺ على صدره وقال: (والله ليهنك العلم أبا المنذر).

فتصور أخي القاري كم من الحافظ المعنوي حصل لأبي المنذر ﷺ حين سمع هذه الكلمات، وهي تسترق سمعه، وتخرق قلبه.

وما أحوجنا اليوم إلى دعاة وموجهين يحفزون الناس بفعلهم وقولهم إلى عمل الخير وفعل كل جميل.

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ الشورى: ١٠.

- (١) سيرة ابن هشام: (ص ٤٩٦).
- (٢) كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (١٩٩/٢)، برقم: (١٩٢١).
- (٣) أبي بن كعب ابن قيس، سيد القراء أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البصري، ويكنى أيضا أبا الطفيل، شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها، حفظ عن النبي ﷺ علما مباركا فكان رأسا في العلم والعمل، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يسميه سيد المسلمين، توفي في خلافة سيدنا عمر سنة (٢٢هـ)، وقيل في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه سنة (٣٠هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (٣٨٩/١ - ٣٩٠)، والإصابة لابن حجر العسقلاني: (٢٧/١).

الاكثار من ذكره في آيات كثيرة من كتابه:

قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: {وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥].

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه الأذكار: «واعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغي أن يهتم بمعرفتها صاحب هذا الكتاب».

وقد اختلّف في ذلك، فقال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال ابن عباس: المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغداً وعشيّاً، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى.

وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً... وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] الآية وجاءت السنة النبوية بأحاديث كثيرة في فضل الذاكرين والذاكرات، روى الإمام مسلم^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: (سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ قَالُوا وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرُ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)^(٣).

ثانياً: من زاد الداعية في دعوته: الخلوة والانقطاع عن الناس بين الفينة والآخرى.

قوله تعالى: (وتبتل اليه تبتيلاً) أي انقطع إلى عبادته عن كل شيء^(٤)، ولا سبيل إلى هذا الانقطاع إلا بأن يختلي المسلم بين الفينة والآخرى بنفسه ويبتعد قليلاً عن ضجيج العالم، إن لهذا الانقطاع والخلوة أهمية كبرى في حياة المسلمين عامة والداعين إلى الله بصورة خاصة.

فالمسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحلياً بالفضائل قائماً بألوان العبادات، حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس، ويراقب الله تعالى، ويفكر في مظاهر الكون، ودلائل ذلك على عظمة الله.

هذا في حق أي مسلم يريد لنفسه الإسلام الصحيح، فكيف بمن يريد أن يضع نفسه موضع الداعي إلى الله والمرشد إلى الطريق الحق.

(٣) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب الحث على ذكر الله، (٢٠٦١/٤)، رقم الحديث: (٢٦٧٥).
(٤) ينظر: تفسير النسفي: (٢٩١/٤).

(١) (ص ١٠).
(٢) كتاب العلم، باب الحث على ذكر الله تعالى، (٤/ ٢٠٦٢)، رقم الحديث: (٢٦٧٦).

وحكمة ذلك أن للنفس آفات لا يقطع شرتها إلا دواء العزلة عن الناس، ومحاسبتها في نجوة من ضجيج الدنيا ومظاهرها. فالكبر، والعجب والحسد، والرياء، وحب الدنيا، كل ذلك آفات من شأنها أن تتحكم في النفس وتتغلغل إلى أعماق القلب، وليس لهذه الآفات من دواء إلا أن يختلي صاحبها بين كل فترة وأخرى مع نفسه ليتأمل في حقيقتها ومنشئها ومدى حاجتها إلى عناية الله تعالى وتوفيقه في كل لحظة من لحظات الحياة، ثم ليتأمل في الناس ومدى ضعفهم أمام الخالق عز وجل وفي عدم أي فائدة لمدحهم أو قدحهم، ثم ليتفكر في مظاهر عظمة الله وفي اليوم الآخر وفي الحساب وطوله، وفي عظيم رحمة الله وعظيم عقابه. فعند التفكير الطويل المتكرر في هذه الأمور تتساقط تلك الآفات اللاحقة بالنفس ويحيا القلب بنور العرفان والصفاء، فلا يبقى لعكر الدنيا من سبيل إلى تكدير مرآته شيء آخر^(١).

ولقد كان من حكمة الله تعالى أن حجب في قلب نبيه الاختلاء في غار حراء قبيل بعثته ليكون ﷺ متهيأ لما سيلقى عليه من تكاليف ومشقات في دعوته.

وليس المراد من الخلوة هو الانصراف الكلي عن الناس واتخاذ الكهوف والجبال موطنًا واعتبار ذلك فضيلة بحد ذاتها كما فهم ذلك البعض، فذلك مخالف لهديه ﷺ ولما كان عليه

عامة أصحابه، إنما المراد هو استحباب اتخاذ الخلوة دواء لإصلاح الحال كما ذكرنا، والدواء لا ينبغي أن يؤخذ إلا بقدر، وعند اللزوم، وإلا انقلب إلى داء ينبغي التوقي منه. وإذا رأيت في تراجم الصالحين من استمر على الخلوة والابتعاد عن الناس، فمرد ذلك إلى حالة خاصة به، وليس عمله حجة على الناس^(٢).

المطلب الثاني: الجمع بين التقوى والاتباع مع التوكل على رب العباد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّخِذُ الْوَحْيُ أَمْرًا لِلَّهِ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ الأحزاب: ١-٣.

معنى الآيات: يقول الله لنبيه ﷺ يا أيها الذي من الله عليه بالنبوة، اشكر نعمة ربك عليك، وذلك بالدوام والاستمرار على تقواه، ولا يصدنك عن هذا المقصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر، قد أظهر العداوة لله ولرسوله، ولا منافق، ولا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب، ولكن (اتبع ما يوحى إليك من ربك) فإنه هو الهدى والرحمة (إن الله كان بما تعملون خبيرًا) يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير والشر، وتوكل على الله، بأن تعتمد على ربك، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة، ولا

(١) ينظر: فقه السيرة: (ص ٦٠).

(٢) ينظر: المصدر نفسه: (٦١-٦٢).

ومنها: التَّائِيْدُ وَالتُّصْرَةُ {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا - أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٢٨ - ١٩٤].

ومنها: النَّجَاةُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنَ الْحَلَالِ {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق: ٢].

{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٣].

ومنها: مَحَبَّةُ اللَّهِ {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤].

فَهَذِهِ وَكُلُّ خَيْرٍ وَسَعَادَةٍ فِي الدَّارَيْنِ تَحْتَ هَذِهِ التَّقْوَى فَلَا تَنْسَ ابِهَا الْمُسْلِمَ نَصِيْبَكَ مِنْهَا^(٤)، وايضا لو عمل الانسان كل عمل خير، أليس العبرة بالقبول وهو متوقف على التقوى {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

ومما يُسْتَدَلُّ به عَلَى تَقْوَى الرَّجُلِ وجود ثلاثة أشياء، حُسْنِ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَهُ، وَحُسْنِ رِضَائِهِ فِيمَا آتَاهُ، وَحُسْنِ صَبْرِهِ فِيمَا يَنْتَظِرُهُ^(٥).

ثانيا: من صفات الداعية: الثبات على المبادئ.

في قوله تعالى: {ولا تطع الكافرين والمنفقين} دعوة لكل مسلم أن يثبت على ما هو عليه من الحق، وأن لا يتأثر بأهل الزيغ والضلال، فالثبات على الحق والدوام على الطاعة والعبادة أمور مطلوبة؛ لأنَّ الأمور بخواتيمها، وبدون الإستقامة والدوام والثبات على الحق تفوت الثمرة، ولا يصل المسلم إلى الغاية، وينقطع عن ركب الصالحين، من أجل هذا وجب على المسلم أن يكون على قدر كبير من الثبات

(٤) ينظر: منهاج العابدين، وريقة محمودية في شرح طريقة محمديّة: (٢١/٢).

(٥) ينظر: كتاب الزهد للبيهقي: (ص ٣٥١).

نشورا، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين، الذي أمرت به، وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي حال كان (وكفى بالله وكيفا)^(١).

• الفوائد الدعوية:

١. من صفات الداعية: تقوى الله تعالى.

٢. من صفات الداعية: الثبات على المبادئ.

أولاً: من صفات الداعية تقوى الله تعالى

من الصفات التي يجب أن يتصف بها الداعية تقوى الله تعالى التي أمر الله بها نبيه بقوله {يا أيها النبي اتق الله} والتقوى هي «عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله»^(٢). أو هي «تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ»^(٣).

فالتَّقْوَى كَنْزٌ فَرِيدٌ وَجَوْهَرٌ نَفِيسٌ وَخَيْرٌ وَفَيْرٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ إِنْ ظَفَرَ بِهَا الْمُسْلِمُ فَازَ فَوْزًا كَبِيرًا وَحَصَلَ غُنْمًا جَسِيمًا وَمَلَكًا عَظِيمًا فَجَمِيعُ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَحْتَ هَذِهِ الْخُصْلَةِ الْوَاحِدَةِ التي هي تقوى الله والمتأمل في القرآن يجد الكثير من الخصال الحميدة التي ترتبت على تقوى الله:

فمنها: الْمِدْحَةُ وَالثَّنَاءُ: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [آل عمران: ١٨٦].

ومنها: الْحِفْظُ وَالْحِرَاسَةُ مِنَ الْأَعْدَاءِ {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران: ١٢٠].

(١) ينظر: تفسير السمعاني: (٢٥٦/٤)، وتفسير السعدي: (ص ٦٥٧).

(٢) الرسالة القشيرية: (ص ٢٢٩).

(٣) الزهد للبيهقي: (ص ٣٥١).

• **المطلب الثالث: التوكل على الله عند إعراض المدعوين.**

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩) التوبة: ١٢٩.

معنى الآية: يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: فإن اعرض المشركين والمنافقين . وتولوا عن طاعة الله تعالى وتصديقك ولم يقبلوا هذه التكاليف فقل لهم يكفيني الله (لا إله إلا هو) وإذا كان لا إله إلا هو وجب أن يكون لا مبدىء لشيء من الممكنات ولا محدث لشيء من المحدثات إلا هو ، وإذا كان هو الذي أرسلني بهذه الرسالة ، وأمرني بهذا التبليغ كانت النصرة عليه والمعونة مرتقبة منه لا أتوكل إلا عليه وهو رب العرش العظيم^(٤).

٢. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨) الأحزاب: ٤٨.

معنى الآية: يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: لا تطعهم فيما يشيرون عليك به من المداهنة في الدين وفي الآية تعريض لغيره من أمته لأنه ﷺ معصوم عن طاعتهم في شيء مما يريدونه ويشيرون به عليه (ودع أذاهم) أي لا تبال بما يصدر منهم إليك من الأذى بسبب يصيبك في دين الله وشدتك على أعدائه { وتوكل على الله } في كل شؤونك { وكفى بالله وكيلا } توكل

على معاني الإيمان والاستقامة عليها؛ لينال الفوز والرضوان^(١) قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} .

وللثبات على طريق الدعوة صور منها:

١. الاستمرار والثبات في طريق هذه الدعوة وذلك من خلال زيارات وتنقلات للأقارب وغيرهم، فالدعوة عالمية، لا يحدها مكان، ولا تختص بزمان دون زمان، وليس مقصوراً على جنس ولا شعب دون شعب، ولا لون دون لون، لذا كان مجالك أيها الداعية واسعاً، فكل أرض أرضك تدعو فوق كل أرض، وتحت كل سماء وفوق كل ماء، لا تحد الداعية حدود، ولا توقفه رسوم أو حواجز أو أسوار ولا تثبطه عقبات.

٢. الثبات في الشدائد، والأزمات كما ثبت الربيون الكثير مع أنبيائهم مثل ثبات الفئة الصابرة مع طالوت، وثبات الصحابة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزواته الكثيرة وفي أزماته العديدة^(٢).

ولأجل تحقيق هذا الثبات على الداعية الاكثار من سؤال الله تعالى من أن يثبتته على الحق فلقد كان من هديه ﷺ أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) فقال له الصحابة يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا، فقال ﷺ: (نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ﷻ يقلبها)^(٣).

(١) ينظر: أصول الدعوة: (ص ٨٥).

(٢) ينظر: دليل الداعية لناجي سلطان: (ص ٥٨)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (١١٢/٣)، برقم: (١٢١٢٨)، قال الشيخ شعيب: «إسناده قوي على شرط مسلم».

(٤) ينظر: تفسير الرازي (١٦/ ١٨٨)، وزاد المسير لابن الجوزي: (٥٢١/٣).

إليه الأمور وتفوض إليه الشئون فمن فوض إليه أموره كفاه ومن وكل إليه أحواله لم يحتج فيها إلى سواه^(١).

الفائدة الدعوية لهذه الآيتين المباركتين هي:

أن مهمة الداعية الدعوة، وأن يتحمل المشاق في سبيل تحقيق أهدافها، ويسلك جميع الأسباب التي تدعو للهداية، أما الهداية والنصر فهي بيد الله سبحانه وتعالى فليعتمد عليه عند إعراض المدعويين وليفوض جميع أموره إليه، فنحن مأمورون بإحسان الطريق فقط، والنتائج ليست إلينا، ولا بأيدينا، وإنما بيد الله ﷻ^(٢). وبسبب عدم فهم هذه القضية حق الفهم تفرق الناس طرفين ووسط.

١. فذهب فريق إلى التواكل، وعدم العمل، والاتكاء على كلمة صدق وحق، ولكن أرادوا بها باطلاً، وهي أن الهداية بيد الله تعالى، وأنه مهما عملنا فمن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً، وهذا خلل كبير، وصاحبه على خطر عظيم، خاصة إذا كان ممن عناهم أمر الدعوة والتبليغ، فيخشى أن يضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ويلعنهم كما لعن من كان قبلهم.

يقول تعالى لنبيه ﷺ {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} المائدة: ٦٧.

ويقول تعالى واصفاً حال هذه الأمة: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} آل عمران: ١١٠

٢. والفريق الآخر ذهب إلى استنفار جميع ما يمكن من وسائل وأساليب في سبيل الوصول إلى الغاية، بغض النظر عن حل الوسيلة أو عدم جوازها، وهم يسيرون على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، سواء قالوها بالسننهم أو ترجمتها أفعالهم، ويغلب على من سلك هذا السبيل الطيش، والعجلة، والتهور، والمغامرة، وهذا الفكر ينزع في الغالب إلى التسخط على الناس، ورميهم بالعظائم^(٣)؛ كتكفيرهم وإخراجهم من الملة لاعتقادهم وجوب استجابة الناس لكل ما يدعون إليه، ولزوم امتثالهم للنصيحة، وهذا ليس من منهج أهل السنة والجماعة.

٣. أما الوسط فهم أهل الحق والصواب الذين يعتقدون أن هداية التوفيق بيد الله تعالى، ولكن ذلك لا يمنعهم من العمل والدعوة والتبليغ، بل يتفانون فيهما، ويبذلون أقصى ما يمكنهم، ولكن وفق المنهج الشرعي الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين^(٤).

• المطلب الرابع: القيادة الحكيمة للنبي ﷺ والتوكل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطْرًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

(١) فتح القدير للشوكاني: (٢٨٨/٤).

(٢) ينظر: البصيرة في الدعوة إلى الله: (ص ٤٦).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: (ص ٤٧).

(٤) ينظر: البصيرة في الدعوة إلى الله: (ص ٤٧).

يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران: ١٥٩

معنى الآية: أي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه {ولو كنت فظا} سيئ الخلق جافيا {غليظ القلب} قاسية {لانفضوا من حولك} لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك {فاعف عنهم} فيما يختص بك {واستغفر لهم} فيما لله {وشاورهم في الأمر} أي في أمر الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطيبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للأمة {فإذا عزم} فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى {فتوكل على الله} في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه {إن الله يحب المتوكلين} فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح^(١).

• الفوائد الدعوية:

١. من صفات الداعية: اللين والرفق وعدم القسوة.

٢. أهمية الشورى في الدعوة الإسلامية.

أولاً: من صفات الداعية: اللين والرفق وعدم القسوة.

إن من صفات الداعية إلى الله تعالى أن يكون رفيقاً رحيماً، ليناً، مشفقاً على الناس، فإن ذلك مدعاة لقبول الناس منه، وانتفاعهم بدعوته، وهذا هو خلق النبي ﷺ في دعوته للناس، ولهذا امتن الله تعالى على نبيه ﷺ بقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ

لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} آل عمران ١٥٩.

ولقد عاش النبي ﷺ حياته بمكة والمدينة وغيرهما، يدعو، ويذكر، وينذر في غاية من اللطف واللين، ويقصد نواديهم، يدعوهم إلى الهدى، ويتحمل منهم ألوان الأذى، ويزيد على ذلك فيقول: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

فهذا دَيْدْنُهُ ﷺ في دعوته، وأمره ونهيه، ولم يستعمل الغلظة والشدّة، إلا حين لا ينفع اللين مع المخاطبين، فمن قرأ سيرته ﷺ ولزم طريقته في دعوة أمته، كان أكمل الناس في متابعتها، وأولاهم بوراثته، وأسعدهم بشفاعته، وأنصحهم لأمته^(٢).

ومما يروى أن الرشيد كان يطوف يوماً بالبيت إذ عرض له رجل فقال يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بكلام فيه غلظة فقال: لا ولا نعمت عين قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولاً لنا^(٣).

يعني بذلك موسى وهارون عليهما وعلى نبينا السلام بعثهما الله إلى فرعون فقال سبحانه: {اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} طه ٤٤.

(٢) ينظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله: (ص ١٦٣).

(٣) ينظر: البداية والنهاية: (١٠/٢١٧).

(١) ينظر: تفسير البضاوي: (٢/١٠٨).

ثانياً: أهمية الشورى في الدعوة الإسلامية:

الشورى مبدأ أصيل من مبادئ الشريعة، وعنصر أساسي في الدعوة إلى الله، ووصف من أوصاف المسلمين في تجمعهم ومباشرتهم أمور الحكم وغيرها، قال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، إِنَّ هذا المبدأ أسمى وأعدل قواعد الحكم الصالح بين البشر، ولا يمكن الاستعاضة عنه بغيره، وقد جاء بدرجة كافية من العموم والمرونة؛ بحيث يتّسع لكل تنظيم صحيح يوضع لتطبيق هذا المبدأ^(١).

والمتمأمل في سيرته يجد التزامه ﷺ بمبدأ التشاور مع أصحابه، وإذا استعرضنا حياته ﷺ، وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب أو سنة، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله، أما ما ثبت فيه نص من الكتاب أو حديث من السنة أبرم به الرسول ﷺ حكمه، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضى عليه بأي سلطان^(٢).

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الطيبة في هذا الخلق الرفيع وآياته المباركات نخلص أهم ما جاء فيها:

١. التوكّل من صفات الأنبياء، وخلق الأولياء، وتحلى به الرعيل الأول من الدعاة فينبغي لمن جاء بعدهم السير على خطاهم.
٢. التوكّل له علامات، ولمن اتصف به دلالات، أهمها أن لا يرجو سوى الله ولا يخاف من مخلوق سواه.
٣. من صفات الداعية الصادق الثبات على المبدأ، وعدم الميل مع كل من دب وهب.
٤. من أساليب الدعوة التي استخدمها القرآن الكريم، وسار على نهجه النبي الكريم ﷺ أسلوب التهيب فهو من الأساليب الناجحة عند عدم نفع أساليب اللين والمرونة.
٥. بث روح العمل من خلال أسلوب التشجيع على العمل هو أحد الأساليب المجدية والتي لها الأثر الكبير في نفس المدعو.

* * *

* * *

(١) ينظر: أصول الدعوة: (ص ٦٢).

(٢) ينظر: فقه السيرة للبوطي: (ص ١٥٩).

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

المصادر والمراجع

٩. الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم: المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٠. دليل الداعية المؤلف: ناجي بن دايل السلطان، الناشر: دار طيبة الخضراء، الطبعة: الأولى.
١١. الرسالة القشيرية في علم التصوف: لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢. رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة: للسيد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي (١١٣٢هـ)، دار الحاوي، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: لأبي الثناء الألوسي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٤. الزهد الكبير: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.
١٥. سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١. إحياء علوم الدين: للإمام أبو حامد لمحمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت.
٢. أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣. الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية، المؤلف: محمد علي محمد إمام، الناشر: مطبعة السلام - الطبعة: الأولى، ٢٠١١م.
٤. البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت.
٥. البصيرة في الدعوة إلى الله: المؤلف: عزيز بن فرحان العنزي، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: دار الإمام مالك - أبوظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٦. تحفة الأحوذ في شرح جامع الترمذي: للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
٧. تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٩١هـ)، دار الفكر، بيروت.
٨. جامع العلوم والحكم: للإمام زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي المشهور بابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، دار المؤيد، ط ١،

١٦. السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الله بن هشام الحميري (٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
١٧. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
١٨. الشرح الكبير على الأربعين النووية: لمحمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، ومعه شرح الإمام النووي (٦٧٦هـ)، وشرح الإمام ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)، وشرح الشيخ عبد الرحمن السعدي (١٣٧٦هـ)، والشيخ عبد العزيز بن باز (١٤٢٠هـ)، وشرح الشيخ صالح بن عبد العزيز، المكتبة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٩. صحيح البخاري: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٠. صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ)، دار الجيل بيروت.
٢١. طريق المساكين الى مرضاة رب العالمين: للدكتور عمر عبد الله كامل، دار غريب، القاهرة.
٢٢. العصبَةُ المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان: جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٢٣. الفتح المبين بشرح الأربعين: للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي (ت ٩٧٤هـ) دار المنهاج، السعودية- جدة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
٢٤. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ (ابن قيم الجوزية) (ت ٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
٢٦. المستدرک على الصحيحين: للإمام محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.
٢٧. مسند الإمام أحمد: للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، مطبعة مؤسسة قرطبة-مصر، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب عليها.
٢٨. منهاج العابدين: للإمام أبي حامد لمحمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار الحياة، سوريا- حلب.
٢٩. المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى: المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٩ - السنة ٣٥ - ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٣٠. وقفات على الطَّريق: جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الطبعة: الثانية، مزينة ومنقحة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

